

غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ

تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة ، فقد ذهب البخاري إلى أنها كانت بعد خير ، وعند الواقدي وابن سعد أنها كانت في المحرم سنة خمس ^(١) ، وذهب ابن إسحاق إلى أن النبي ﷺ أقام بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى سنة أربع من الهجرة ، ثم غزا نجدًا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ^(٢) وذكر البوطي أن تاريخ الغزوة كان في السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريبًا على إجلاء بني النضير ، وقال بأن هذا الرأي ذهب إليه أكثر علماء أهل السير والمغازي ^(٣) وإليه ذهب .

أما سبب الغزوة ما ظهر من الغدر لدى كثير من قبائل نجد بالمسلمين ؛ ذلك الغدر الذي تجلّى في مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلى الله - تعالى - فخرج - عليه الصلاة والسلام - قاصدًا قبائل محارب وبني ثعلبة ^(٤) .

وقد ذكر الدكتور على محمد الصلابي أن قادمًا قدم المدينة فأخبر المسلمين أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحرب رسول الله ﷺ ، فما كان منه ﷺ إلا أن سارا إليهم في عقر دارهم على رأس أربعمئة مقاتل ، وقيل : سبعمائة مقاتل ، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ديارهم خافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال ؛ تاركين نساءهم وأطفالهم وأمواهم وحضرت الصلاة فخاف المؤمنون أن يغيروا عليهم ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ^(٥) .

سَبَبُ تَسْمِيَّتِهَا بِذَاتِ الرَّقَاعِ:

سميت بذات الرقاع ؛ لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقاع ؛ اتقاء الحر وقيل : لأنهم رقعوا راياتهم وقيل : لشجرة كان اسمها ذات الرقاع ، وقيل : لأن

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢١٩) .

(٢) ابن هشام ١ / ٤٧٣ .

(٣) فقه السيرة للبطوي ص ٢٠٦ .

(٤) فقه السيرة للبطوي ص ٢٠٧ .

(٥) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢١٩) .

المسلمين نزلوا فى أرض كان فيها بقع بيض وسود مختلفة فسميت بذلك ، والصحيح لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق ، وقد روى الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ^(١): خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَنَقَبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقَبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي وَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا^(٢).

صَلَاةُ الْخَوْفِ:

أنزل الله - تعالى- على نبيه ﷺ صلاة الخوف فى هذه الغزوة وبين القرآن الكريم صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفَلَّوْا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النساء: ١٠٢] (٣).

وفى رواية البخارى: وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، وكان للنبي ﷺ أربع ، وللقوم ركعتان^(٤) .

حِرَاسَةُ الشُّعُورِ:

عندما رجع الجيش الإسلامى من غزوة ذات الرقاع سبوا امرأة من المشركين ، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دمًا فى أصحاب محمد ﷺ فجاء ليلاً وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر^(٥) .

فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال عباد بن بشر لعمار بن ياسر: أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال: بل اكفىنى أوله فاضطجع عمار فنام ، وقام عباد يصلى ؛

(١) رواه البخاري ٤١٢٨ ، مسلم ١٨١٦ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٠) .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٠) .

(٤) الرحيق المختوم ص ٣٢٨ .

(٥) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢١) .

فضرب عباد بسهم وهو قائم يصلي فنزعه ، ولم يقطع صلاته ؛ حتى رشقه بثلاثة سهام ، فلم ينصرف منها حتى سلم ، فأيقظ صاحبه فقال: سبحان الله أفلا أهيبتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها (١) .

جِنَّتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ :

عندما قفل رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع أدركته القافلة في واد كثير العضاة ولندع جابر رضى الله عنه يصف الموقف بنفسه ؛ فعن جابر بن عبد الله قال (٢) : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أُدْرِكْتُهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ (٣) فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فِإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : «إِنَّ هَذَا أَنَا نَائِمٌ وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخْتَرْتُ سَيْفِي فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْنَا » قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : «اللَّهُ فَشَامَةٌ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا» قَالَ : وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قال جابر: فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا ، فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ : «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت ، وهو في يده صلنا فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله لها هو ذا جالس» ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ ، وفي رواية أبي عوانة: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله؟» قال الأعرابي: أعاهدك على ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال: فحلى سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتمكم من عند خير الناس (٤) .

مَوْقِفُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مَرْتَجِلًا عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَعَلْتُ الرِّفَاقُ تَمْضِي وَجَعَلْتُ

(١) ابن هشام (١ / ٤٧٧ - ٤٧٨) .

(٢) رواه البخاري ٤١٣٩ .

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٢٢) .

(٤) الرحيق المختوم (٣٢٨ - ٣٢٩) .

أَتَخَلَّفُ حَتَّى أُدْرِكَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ^(١): «مَا لَكَ يَا جَابِرُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا قَالَ: فَأَنْخُهُ وَأَنَاخُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَعْطَنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ أَوْ قَالَ: أَقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةِ قَالَ: فَفَعَلْتُ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَسَّهَ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاهِقُ^(٢) نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً قَالَ: وَتَحَدَّثَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَيْعَنِي جَمَلُكَ هَذَا يَا جَابِرُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهْبُهُ لَكَ قَالَ: لَا وَلَكِنْ بَعِيهِ قَالَ: قُلْتُ فَسُمِّنِي بِهِ قَالَ قَدْ قُلْتُ أَخَذْتُهُ بِيَدِهِمْ قَالَ: قُلْتُ لَا إِذَا يَعْنِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَدَرْتُهُمْ قَالَ: قُلْتُ لَا قَالَ فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَةَ قَالَ: قُلْتُ فَقَدْ رَضَيْتُ قَالَ قَدْ رَضَيْتُ قُلْتُ نَعَمْ قُلْتُ هُوَ لَكَ قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتُ بَعْدُ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَيُّهَا أُمُّ بَكْرًا قَالَ قُلْتُ بَلْ نَيْيَا قَالَ أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي أَصِيبَ يَوْمَ أَحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا فَتَكَحُّتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ: أَصَبْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا^(٣) أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَحَحَرْتُمْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَسَمِعْتُ بِنَا فَتَفَضَّتْ نَمَارِقَهَا^(٤) قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقٍ قَالَ إِنَّهَا سَتَكُونُ لِإِذَا أَنْتَ قَبِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيْسًا قَالَ فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَحَحَرْتُمْ فَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا قَالَ: فَأَخْبَرْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَتَدُونُكَ فَسَمِعْنَا وَطَاعَةَ قَالَ: فَلَمَّا أَصَبْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنْخَسْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ قَالَ فَأَيُّ جَابِرٍ فِدْعَيْتُ لَهُ قَالَ: تَعَالَ أَيُّ يَا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ قَالَ فِدْعَا بِلَالًا فَقَالَ أَذْهَبُ بِجَابِرٍ فَأَعْطَهُ أُوقِيَةَ فَذَهَبَتْ مَعَهُ فَأَعْطَانِي أُوقِيَةَ وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدَنَا وَكَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا حَتَّى أَصِيبَ أَمْسٍ فِيمَا أَصِيبُ النَّاسُ يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ»^{(٥) (٦)}

(١) رواه أحمد ١٤٦٠٨ .

(٢) يواهق: يباري في السير .

(٣) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٤) نمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .

(٥) يريد وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية .

(٦) ابن هشام (١ / ٤٧٥ - ٤٧٦) .

اقتسما الليل نصفين ؛ نصفاً للراحة ونصفاً للحراسة ؛ إذ لا بد من راحة جسم الجندي بعض الوقت .

ج- التعلق بالقرآن الكريم وحب تلاوته ؛ فقد كان حبه لتلاوته قد أساه آلام السهام التي كانت تنغرس في جسمه وتثج الدم منه بغزارة .

د- الشعور بمسئولية الحراسة فلم يقطع عبادة صلاته لألم يشعر به ؛ وإنما قطعها استشعاراً بمسئولية الحراسة التي كلف بها ، وهذا درس بليغ في مفهوم العبادة والجهاد^(١)

هـ - لا بد من أن يقف المسلم وقفة متأملة طويلة أمام خبر الصحابين ، وهما يقومان على الشجر الذي أمرهما رسول الله ﷺ بحراسته ؛ ليعلم طبيعة الجهاد الإسلامى ، وكيف كان يمارسه أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فلم يكن الجهاد عملاً حركياً يقوم على أساس المقاومة المادية المجردة وإنما الجهاد كما علمه رسول الله ﷺ أصحابه ، وكما فهمه الصحابة منه عبادة كبرى ؛ يتعلق فيها كيان المسلم كله بخالقه - جلا جلاله - خاشعاً مستغنياً متبتلاً وما ساعة يكون فيها المؤمن أقرب إلى ربه - جل جلاله - من تلك الساعة التي يستدبر فيها الدنيا ويستقبل بوجهه شطر الموت والاستشهاد^(٢) .

٤- قصة المشرك الذى أخذ سيف رسول الله ﷺ وهو نائم تحت الشجرة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصره على الأذى وحلمه على الجهال^(٣) .

وهى تكشف عن رعاية البارئ - جل جلاله - وحفظه لنبيه ﷺ ثم هى تزيدك يقيناً بالخوارق التى أحضها الله - جل جلاله ﷺ مما يزيدك تبصراً و يقيناً بشخصيته النبوية ؛ فقد كان من السهل الطبيعى بالنسبة لذلك المشرك وقد أخذ السيف ورفع فوق النبی ﷺ وهو أعزل غارق فى غفلة النوم أن يهوى به عليه فيقتله ، وإنك لتلمس من ذلك المشرك هذا الاعتزاز بنفسه والزهو بالفرصة الذهبية التى أمكنته من رسول الله ﷺ فى قوله: «من يمنعك منى؟» .

فما الذى طرأ بعد ذلك حتى عاقه عن القتل ؛ إن الذى طرأ هو ما لم يكن فى حساب المشرك وتقديره ألا وهو عناية الله وحفظه لرسوله ؛ فقد كانت العناية الإلهية

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٢١ - ٢٢٢) .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٢١٣ .

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٢٣) .

كافية لأن تملأ قلب المشرك بالرعب ، وأن تقذف في ساعدية تياراً من الرجفة فيسقط من يده السيف ثم يجلس متأدباً مطرفاً بين يدي رسول الله ﷺ ، وأهم ما يجب أن تعلمه من هذه الحادثة أن هذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٧) (المائدة: ٦٧) .

فليست العصمة المقصودة في الآية أن لا يتعرض لأذى أو محنة من قومه ؛ إذ هي تلك هي سنة الله في عبادة كما قد علمت ، وإنما المراد من العصمة أن لا تطول إليه أي يد تحاول اغتياله وقتله ؛ لتغتال فيه الدعوة الإسلامية التي بعث لتبليغها^(١) .

٥- وفي قصة معاملة الرسول ﷺ لجابر صورة جميلة ورفيعة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث لطف الحديث والتواضع الرفيع ورقة الحديث وفكاهة المحاوره ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية مادياً ومعنوياً ، فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جملة ، الذي لا يملك غيره لبؤس حاله ؛ حيث إن والده مات شهيداً في أحد ، وترك له مجموعة من البنات والأولاد ؛ ليرعاهم وهو مقل في الرزق^(٢) .

غَزْوَةُ بَدْرِ الْمَوْعِدِ :

خرج رسول الله ﷺ من المدينة تنفيذاً للموعد الذي كان أبو سفيان قد اقترحه في أعقاب معركة أحد على رأس جيش ؛ قوامه ألف وخمسمائة مقاتل بينهم عشرة من الخيالة^(٣) ، وحمل لواء علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وانتهى إلى بدر فأقام بها ينتظر المشركين وذلك في شعبان سنة ٤هـ .

وأما أبو سفيان فخرج في ألفين من مشركي مكة ومعهم خمسون فرساً ؛ حتى انتهى إلى مر الظهران على بعد مرحلة من مكة فنزل بمجنة^(٤) .

خرج أبو سفيان من مكة متثاقلاً يفكر في عقبى القتال مع المسلمين ، وقد أخذه الرعب واستولت على مشاعرة الهيبة ، فلما نزل بمر الظهران خار عزمه فاحتال للرجوع ،

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٢١٢ .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٢٤) .

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٢٥) .

(٤) مجنة: ماء في تلك الناحية .

وقال لأصحابه: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جذب، وإنى راجع فارجعوا، ويبدو أن الخوف والهيبة كانت مسئولية على مشاعر الجيش أيضاً، فقد رجع الناس ولم يبدوا أى معارضة لهذا الرأي ولا أى إصرار وإلحاح على مواصلة السير للقاء المسلمين.

وأما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون العدو، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا بدرهم درهمين ثم رجعوا إلى المدينة، وقد انتقل زمام المفاجأة إلى أيديهم، وتوطدت هيبتهم فى النفوس وسادوا على الموقف، وتعرف هذه الغزوة ببدر الموعد وبدر الثانية وبدر الآخرة وبدر الصغرى^(١).

غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ:

خرج إليها رسول الله ﷺ فى ربيع الأول سنة خمس، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدون أن يدنوا من المدينة، وبينهما وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وهى من دمشق على بُعد خمس ليالٍ؛ فاستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الْغَفَارِي، وخرج فى ألف من المسلمين ومعه دليل من بنى عذرة يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذا هم مغرَّبون وإذا أثار النَّعَمِ وَالشَّاءِ فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرِعَاتِهِمْ، فَأَصَابَ مِنْ أَصَابٍ، وَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ وَجَاءَ الْخَبْرَ أَهْلَ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ فَتَفَرَّقُوا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَبَثَّ السَّرَايَا وَفَرَّقَ الْجِيُوشَ فَلَمْ يَصِبْ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَادَعَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ^(٢).

(١) الرحيق المختوم ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٣٥٨.

أَهْمُ الْأَحْدَاثِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ

رَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

وهي قصة زواج النبي ﷺ بزَيْنَبِ بنتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَنَاسِكَهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَزَوِّجْنَا بِهَا وَكُلَّتْ مِنْهَا وَكُلَّتْ مِنْهَا وَكُلَّتْ مِنْهَا مَقُولًا (٢٧) ﴾ [الاحزاب: ٢٧] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة عن طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه: (بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أئمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، ثم أعلم الله - عز وجل - نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه ؛ فكان يستحي أن يأمر بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبسّى زيداً وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له: «اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه» .

وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ أُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ :

فلما طلق زيد زينب - رضى الله عنهما - وانقضت عدتها تزوجه رسول الله ﷺ ؛ لسنال أعظم منقبة في الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ، ولتكون أمًّا للمؤمنين عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد^(١): «فأذكرها علي» قال فانطلق زيد حتى أتاهما وهي تُحَمَّرُ عَجِينَهَا قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتَهَا عَظَمْتُ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظَرَ إِلَيْهَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَتَكَصَّتُ عَلَى عَقْبِي فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي

(١) رواه مسلم ١٤٢٨ .

فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجْرَةَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَذْرِي أَنَا أَخْبِرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبِرْتَنِي قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أُدْخِلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعُظُوا بِهِ، زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْطِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيءُ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] (١).
